يونس عليه السلام

obeikandl.com

يونس عليه السلام

هو يونس بن متى نبي الله عليه السلام، بعثه الله سبحانه وتعالى إلى أهل نينوي من أرض الموصل بالعراق إلى مائة ألف أو يزيدون، وكان قومه يعبدون الأصنام، فبعثه إليهم بالنهي عن عبادتها والأمر بالتوبة إلى الله من كفرهم وتوحيده، فأقام على ذلك تسعة أعوام كاملة، ولكنهم أصموا آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصروا على الباطل، واستكبروا حتى يئس من أمرهم.

يونس في بطن الحوت:

خرج يونس عليه السلام مغاضباً لقومه؛ لأن قومه لم يقبلوا منه، وهو رسول الله عز وجل، اتجه عليه السلام إلى شاطئ البحر وركب السفينة وسارت السفينة في عرض البحر، ولكن الله ألقى على ذلك البحر ريحاً عاصفة جعلت أمواجه تضطرب بشدة وتهدد السفينة بالغرق، ففزع الملاَّحون والركاب، وقالوا: إن فينا صاحب ذنب، فتشاوروا فيما بينهم على أن يقترعوا فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة، فلمَّا اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس عليه السلام.

فقالوا: هذا رجل صالح ولا يعقل أن يكون مذنباً ولابدَّ أن القرعة أصابته مصادفة.

فأعادوا ثانية فوقعت عليه أيضاً، فاستعد ليخلع ثيابه ويلقي بنفسه، فأبوا عليه ذلك، فأعادوا القرعة ثالثة، ووقعت عليه أيضاً، فأُلقي في البحر فبعث الله حوتاً عظيماً فالتقمه، ويشير الله سبحانه

وتعالى إلى هذا الموقف فيقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٣٩ ـ ١٤٢].

وحينما رأى يونس نفسه مستقرًا في بطن الحوت بين الظلمات أسرع مستغيثاً بربه: ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

نجاة يونس عليه السلام:

لمَّا التقم الحوت يونس عليه السلام، ألهم الله سبحانه وتعالى الحوت أن لا يصيبه بأذى.

وسمع يونس تسبيح الأسماك والحيتان ودواب البحر، فاتجه إلى تسبيح الله وتمجيده، لا يفتر من ذلك على مدى أربعين يوماً كاملة، ثم قذف به الحوت إلى العراء، ليعود إلى حياته، ويؤدي رسالته كما أمره الله سبحانه.

وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت وهو مريض متعب، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين (القرع) لتستره من حر الشمس، وليأكل من ثمرته، فظل في تلك الحالة فترة من الزمن، حتى استردَّ عافيته وذهب روعه، وسكنت نفسه.

ثم أمره الله أن يعود إلى قومه الذين فارقهم ليدعوهم إلى الإيمان، ذهب يونس عليه السلام إلى قومه فأدَّى الرسالة التي أمره الله بها، فصاروا من المهتدين.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٨][1].

توبة قوم يونس عليه السلام:

نزل الوحي على يونس عليه السلام أن أخبرهم أن العذاب مصبحهم بعد ثلاث ليال إذا لم يتوبوا ويرجعوا عن كفرهم وغيهم.

فأخبر قومه بذلك، وهم يعتقدون صدقه، فدبَّ الخوف إلى قلوبهم، فلما رأوه يحزم أمتعته ليخرج من بينهم، أدركوا أن الأمر جد ولا هزل فيه، فقذف الله في قلوبهم التوبة وندموا على ما كان منهم، وتطهروا وردوا المظالم، وتركوا المحرمات وخرجوا إلى الصحراء بأطفالهم، وأنعامهم ومواشيهم، وتضرعوا إلى الله، وبكى الرجال والنساء والبنون، فتاب الله عليهم وكشف عنهم العذاب، واختصهم الله سبحانه بالثناء دون غيرهم من أهل القرى، فقال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

---

(١) «صحيح قصص الأنبياء»، ابن كثير. (بتصرف).